منهج التغيير والاصلاح

عند الداعية الكبير الشيخ إلياس

(رحمه الله)

بقلم

محمد علي محمد إمام

الطبعة الأولى ٢٠١٥

عدد الصفحات : (٧٨ صفحة)

كل الحقوق محفوظة

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

إخواني وأحبابي في الله: لقد من الله علي وكتبت كتابا للأمراء الثلاثة الأُول للتبليغ والدعوة(حياتهم ومنهجهم في الدعوة إلى الله) ومن ضمن الأبواب في المجلد الأول : رأي الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في السياسة المعاصرة وعدم الاشتراك فيها ومنهجه في التغيير والاصلاح، وكذلك رأي تلامذته من العلماء الذين صاحبوه وتأثروا به وأشادوا بمنهجه، الذي رأوا نجاحه على الساحة الاسلامية، ولا يزال هذا المنهج له عطاؤه الرباني، لأنه منهج رباني استمد أصوله من الوحيين الكتاب والسنة .

فأردت أن أفرد هذا الكلام في رسالة خاصة كي يستفيد منها كل فرد لا يحب المطولات.

أسأل الله أن يفهمنا جهد حبيبه على منهاج حبيبه حسب مرضاته.

(محبكم : محمد على محمد إمام).

رأي الشيخ محمد إلياس

في سياسة المسلمين المعاصرة

عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ تَكْثُرُ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ "

متفق عليه [١].

قوله: (تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ):أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام

---

(١) صحيح مسلم « كتاب الإمارة « باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، صحيح البخاري« كتاب أحاديث الأنبياء« باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.

فالسياسة: هي إشاعة الرحمة والشفقة والعدل بين الناس، أما المفهوم الراهن والسائد للسياسة فهو يعتمد على الانتقام فضح الأمة، فليس من شأن جماعة التبليغ.

والدعاة إلي الله هم يقومون بهذا الواجب وإن لم يكن معهم سلطان، فكثير من الأنبياء لم يكن لهم سلطان مثل نوح وموسى عليها السلام، وهم من أولي العزم من الرسل، وكانوا يسوسون الناس، بربطهم بالخالق جلا وعلا الذي بيده صلاح أمورهم، وما جار عليهم حكامهم وفسدت أحوالهم إلا ببعدهم عن ربهم.

وكان الشيخ الياس يقول: إن المسلمين الأوائل قد استطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم وتقويته بفضل سياسة سليمة ومتينة .

وذلك بعد قيامهم بالدعوة الالهية الخالصة لمدة طويلة.

ولكن لما ضعفت جهود الدعوة بدأت تضعف أسس الحكومة العادلة.

وكان يرى أن السبب الوحيد في كل ما يعانيه المسلمون من الاضطراب والخلاف هو السياسة الفاشلة.

لأن المسلمين قد بدأوا في العصور الأخيرة اتباع منهج السياسة قبل الدعوة بأن صبغوا الأمور الدينية بصبغة السياسة الغربية وحاولوا أن يأخذوا طرقها وأساليب تنظيمها وإداراتها .

وقد أدت تلك الطرق والأساليب الى نشر الافكار الغربية التي لا تؤدي الى قيام الحكم الاسلامي في البلاد مطلقا .

إن الشيخ محمد إلياس لم ينشأ جمعية سياسية أو يستعمل العنف ضد من يخالفه في منهجه .

بل جرد نفسه لخدمة المجتمع الاسلامي والتربية الروحية طبقا للكتاب والسنة الشريفة .

وآمن إيمانا كاملا بأنه يمكن إصلاح الأمور السياسية بإصلاح المجتمع دينيا وخلقيا.

ويرى أن القائمين على الدعوة لهم منهجهم وهو تربية المسلمين وتعليمهم أمور دينهم.

وذلك من خلال اساليب معينة.. وكونهم لا يشاركون في العمل السياسي.. فلأنهم يدعون الغافلين من المسلمين إلى الدين فإذا وجد الدين في حياة المسلمين فالله يتكفل بنصـــرتهم واســـتخلافهم فـــي الارض قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (١).

إن الهدف المنشود من الحركة الايمانية هو إصلاح الأحـــوال والأعمال وصلاح الأعمال يرتبط بصلاح القلب وإذا صلح القلـــب صلحت جميع الأمور فالشيخ إلياس (رحمه الله) لم يَدْعُ أحد إلـــى السياسة التي كان يؤمن بها في الامور الدنيوية.

كما لم يسمح لأحد أن يدعو إلى أي مسلك سياسي يميل إليـــه أو يفتح أحد باب المناقشات السياسية مع الخارجين في ســـبيل الله الذين خرجوا لفترة وجيزة، ولهدف معين محدود، وتعلـــم وتعلـــيم أساس الدين، كما لم يجبر الشيخ أحد أن يترك نظريته السياســـية فكل واحد حر في نظريته.

---

١) سورة محمد _ الآية ٧.

ولكنه كان يشترط للخروج عدم الخوض في السياسة إلى أن تنتهي مدة الخروج.

وهذه الطريقة ساهمت في حماية الجهد طيلة هذه السنين.

يقول أبو الحسن الندوي (رحمه الله): كان الشيخ محمد الياس يعتقد تمام الاعتقاد أن الإيمان كان هو العمود الفقري للدعوة الى الله في أول الأمر، ولن تتولد الرغبة في التمسك بالدين والعمل بالشريعة المطهرة ولن تؤتي ثمارها إلا بالإيمان الكامل ثم الانقياد التام لأوامر الله.

فلن تكون الدولة الاسلامية ولن تقوم للسياسة قائمة بغير الالتزام بالعبودية والانقياد الكامل لحاكمية الخالق الواحد القهار.

كما أنه لن ينال هذا الانقياد الا بالنجاح في الدعوة الى الله وبذل كل الجهود لأجلها فمن هنا اعتقد الشيخ أن السياسة التي ليس قوامها الدعوة إلى الله فهي ليست إلا بناءً متزلزلا لا أساس له وإن بنيت فلن تلبث أن تنكص على أعقابها كبيت بني على كثيب من الرمال فانهار .

فالمراد هنا بالسياسة هو تنفيذ الأوامر بالحكم والقوة تحت نظام وضوابط شرعية وأما المراد بالدعوة فهي الترغيب والتقريب إلى هذه الأحكام الإلهية التي تتفق مع الفطرة اتفاقا تاما (انتهى كلام الندوي).

والحقيقة هذا ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ... فقد كانت الدعوة أولا ثم العبادة ثم الخلافة .

الدعوة بالتضحية بالنفس والوقت والمال مع التربية والاعداد لإقامة الدين .

وهذا هو الترتيب الصحيح، ونحن نريد أن نغير الترتيب فنقول خلافة ثم عبادة ثم الدعوة، وهذا خلاف طريقة النبي في إقامة منهجه الاعظم .

وسُئِلَ الشيخ محمد الياس: لماذا لم يتمكن المسلمون من الحكم والدولة ؟ . فأجاب قائلا : ما دمتم غير منفذين لأوامر الله ونواهيه وأحكام شرعه في بيوتكم وفي حياتكم اليومية والمنزلية التي تملكون القدرة عليها ولا يوجد معوق فيها .فكيف يولي إليكم نظام وتنسيق الدنيا، لأن الغاية من تولية الحكم الأرضي هو أن تنفذوا

أوامر الله وأحكامه في الارض..قال تعالى:{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}[١]. فلما لم نكن منفذين لهذا في ما هو ملك لنا اليوم فبتمكين الدولة في أيديكم غدا ماذا سيكون الأمل فيكم (انتهى كلام الشيخ).

فما دمنا لسنا قادرين علي إحياء الدين وزرع جذوره في بيوتنا وحياتنا اليومية التي هي في متناولنا فكيف نريد أن يجعل الله مصير الأمة بين أيدينا.

قال أحدهم: أقيموا دولة الاسلام في صدوركم تقم لكم في أرضكم.

رأي العلماء والمشايخ الذين صحبوا الشيخ إلياس أو من الذين تأثروا بدعوته:

س: يقول الشيخ فاروق (من علماء كراتشي بباكستان): لماذا لا نتلكم في السياسية ؟ .

ج : ثم أجاب: لا يلتقي التبليغ والسياسة، وهي سياسة سب الناس،

---

١) سورة الحج _ الآية ٤١.

وكشف عيوب الناس، ولا بد أن نفهم أن الحكومة الإسلامية لا تطلب[١].

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري:

قال الخصوم:إن جماعة التبليغ تميت المسلم بقتلها روح الجهاد في نفوسهم، وذلك بإغضائها عن السياسة، وعدم مطالبتها بتحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد التي لا تحكم فيها، وهي كل بلاد العالم الإسلامي ما عدا المملكة العربية السعودية.

ونقول: مبينين الحق في هذه المسألة إن جماعة التبليغ تحيي ولا تميت كما قالوا، إن الذي يخرج يدعو إلى الإسلام بنفسه وماله خارج بلاده وداخلها حي قطعا وليس بميت، هذا أولا!.

وثانيا : إذا كان الغرض من تحكيم الشريعة هو أن يعبد الله تعالى وحده بما شرع، فإن جماعة التبليغ بدعوتها قد عبد الله بطاعته وطاعة رسوله في أوامرهما ونواهيهما، فالغرض الذي من أجله المطالبة بتحكيم الشريعة قد حصل بحمد الله بدون قتال.

---

١) سمعته من الشيخ في مسجد مدينة الحجاج بالأردن عام ١٩٨٦م .

وثالثا: هـل مطالبـة غيـرهم بتحكـيم الشـريعة وتخوضـهم في السياسة حقق شيئا من المطلوب ولو قل ؟، **اللهم لا !** إذا فدعوة الطاعنين فيهم تعتبر سلبية، ودعـوة جماعـة التبليـغ ايجابيـة، والايجابي خير من السلبي عند كافة العقلاء.

ومن هنا ننصح لإخواننا بأن يكفوا عن الطعن فـي جماعـة التبليغ حتى لا يقفوا موقف من يصد عن سبيل الله وهو موقـف لا يحسد عليه (١).

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله):

وإذا كانت هذه الأمة إنما تحاول ملكاً أو تريد أن تؤسس دولة فيجب أن تصرح بذلك ولا تتظاهر بالدين وتتخـذ لـذلك طريـق الملوك والفاتحين.

وإن الطريق إلى كل ذلك .. من زراعة وتجـارة وصـناعة ووظيفة وحياة بذخ وترف وملك وشرف غير الطريق التي سلكتها هذه الأمة الجديدة التي سفهت أحلامنا وعابت آلهتنا ونعت علـي

---

(١) القول البليغ في الدعوة والتبليغ للشيخ أبو بكر الجزائري .

عقائدنا وأخلاقنا وأعمالنا ودعت إلى دين جديد وسارت في سبيل ذلك في شوكة وقتاد وجاهدت في غير جهاد ، فقد كان الطريق إلى كل ذلك مسلوكة معبدة قد سلكتها الأمم من قبل .

هذا يا سادتي ما أظنه قد تناجى به ضمير الإنسان الحي في فجر الإسلام، ولا ألومه، ولا أستغرب هذا السؤال، فإن هذا السؤال طبيعي ينبغي أن يهجس في قلب الإنسان وينطق به اللسان عند كل ناشئة، فلماذا لا ينشأ هذا السؤال عند ظهور أمة بأسرها ..؟

ما هو الجواب ؟ إذا كان الجواب في الإثبات وإذا كان مبعث هذه الأمة في الحقيقة لشيء مما ذكرنا، ولم تكن لهذه الأمة مهمة جديدة في العالم ورسالة خاصة إلى الأمم كانت هذه الأمة حقاً من فضول الأمم ومن المتطفلين على مائدة العالم ..!!

ولكن لم يكن مبعثها لهذا ولا ذاك، والأمم والأشخاص لا يبعثون لشيء من هذا وإنما هي من طبائع البشر لا تحتاج إلى نبوة النبي وبعثة أمة وجهاد طويل وزلزال عالمي لم يسبق في التاريخ ، زلزال في المعتقد والأخلاق والمجتمع والميول والنزعات وفي نظام الفكر ومنهاج الحياة .

لقد كان مبعثها لغرض سامٍ جداً ، لمهمة غريبة طال عهد الإنسانية بها وتشاغلت أمم الأنبياء عنها حتى نسيتها وذلك ما خاطب به الله ﷻ هذه الأمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١) فنبه على أن هذه الأمة ليست نابتة نبتت في الأرض كأشجار بريـة أو حشائش شيطانية بل أنها أمة أخرجت ولأمر ما أخرجت، وإنما لم تظهر لمصلحتها فقط كسائر الأمم بل أنها أخرجت للناس، وذلك ما تمتاز به هذه الأمة في التاريخ فما من أمة إلا وهى تسعى لأغراضها كأنما خلقت لها، وهى خير أمة أخرجت للناس وذلك يرجع إلى شغلها ومهمتها وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله.

ظهرت نواة هذه الأمة في مكة في قلب جزيرة العرب.

فقام العقلاء من قريش وهم الآخذون بزمام الحياة في البلاد – ونثروا كنانتهم وقاسوا الناشئة الجديدة بمقاييسهم التي عرفوها وألفوها ووزنوها فى ميزان الإنسان الذي طالما وزنوا فيه أصحاب

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

الطموح فوجدهم خفيفة الوزن طائشة الكفة وذهبوا إلى إمام الدعوة الإسلامية وأول المسلمين في العالم – ﷺ – **فقال قائلهم:** يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا . قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، أَسْمَعْ ؛ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا ، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ

أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، قَالَ : أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاسْمَعْ مِنِّي ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ؛ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ، فَأَنْتَ وَذَاكَ(١).

استمع رسول الله ﷺ لكل ذلك في هدوء وتأنٍ، ثم رفضه فى غير شك ولا تأخير، ولم يكن هذا العرض من قريش على شخص

(١) السيرة النبوية لابن هشام _ قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرسول ﷺ بل كان على هذه الأمة التي كان يمثلها ويقودها، ولم يكن رفض رسول الله ﷺ لما عرضت قريش رفضاً عن نفسه الكريمة فقط بل كان رفضاً عن أمته إلى آخر الأبد(١).

ويقول الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله):

أصبحت عواطفنا غير قرآنية، أصبحنا نطمع في الملك والمال.. علينا أن نقول لأهل الملك: ملككم لكم، ولأهل المال: مالكم لكم.. نحن نريد: أن نخرج العالم من الحياة البئيسة التعيسة إلى الحياة السعيدة الشريفة الكريمة .

أصبحت شهواتنا ورغباتنا كأهل الدنيا، وأصبحنا نتكلم مثل أهل الدنيا، وأصبحت وظيفتنا كأهل الدنيا، وعندما تعرف الأمة مقصدها وغايتها الله يربيها تربية خاصة فيقوى إيمانها ويقوى يقينها كما يربى الداعي.. ولكن متى يحدث هذا ؟؟؟

عندما تضحى الأمة بشهواتها ورغباتها وتقوم بجهد الدعوة إلى الله ﷻ ، وتتحمل في سبيله التضحيات.. فلولا هذا الجهد ما دخل

---

(١) انظر كتاب روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلي الله بقلم المؤلف .

الجوع في بيت النبي ﷺ وما ابتلى أصـــحابه رضـــي الله عـــنهم بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، فهل نحن ، أزكى منهم ؟؟؟ كلا والله !!! هم فهموا فهماً صحيحاً(١).

ويقول الشيخ الأنصاري البهاولبوري:

أيها الإخوة الكرام، إخواني وأحبائي في الله.. إن هذه الأمـــة في أصلها الغابر كانت في عزة وكرامة وشرف وارتقاء وهذا أمر لا اختلاف فيه ، فكلنا يعرف هذا، حتى الكفار يعرفون هذا جيداً ، ولكنها في العصر الحاضر، صارت في تأخر وانحطـــاط وذلـــة ، فتقدم الأمة في العصر الغابر أمر متفق عليه .. وكذلك تأخرها في العصر الحاضر أمر متفق عليه كذلك.

فلابد أن نتفكر تفكيراً صحيحاً، كيف تقدمت ؟ وما سبب تقدمها في العصر الغابر؟ ولماذا تأخرت، وما سبب تأخرهم في العصـــر الحاضر؟

المشكلة كل المشكلة الآن، أن المسلمين يريدون أن يعودون إلى

---

(١) انظر كتاب فرضية الدعوة إلي الله من كلام الشيخ عبد الوهاب.

مجد الإسلام وعزه، ولكن لا يتفكرون كيف تقدمنا في الماضـــي؟ ولماذا تأخرنا في الحاضر؟

أي يجتهدون بطرق مختلفة، ويريدون العلاج بطرق مختلفـــة، ولكن بغير معرفة السبب، فكلما يجتهدون للتقدم يتأخرون، والأمر الواضح في ذلك أن المسلمين في معية الله ﷻ يتقدمون، وبفقد هذه المعية يتأخرون، هذا هو السبب الوحيد: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَـــلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

فالمقصد من هذا العمل (عمل الدعوة والتبليغ) ليس القيام لخدمة الدين والاجتهاد لنشر الإسلام بأي طريق، وإنما المقصد من هذا العمل خدمة الإسلام، ونشر الدين من خلال نظام وضـــعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية.

لا نستطيع أن نقوم بخدمة الدين كيفما نشاء، ونجتهـــد لإقامـــة الدين كيفما نشاء، المقصد خدمة الدين ونشر الإسلام مـــن خـــلال

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٦٠ .

نظام وضعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية، فكما أن نظام الدين مرتب ومكرر من الله سبحانه وتعالى فكـذلك طريقة إقامة الدين وطريقة نشر الدين في المجتمع الإنساني مرتبة من الله ﷻ، ما جعل الله ﷻ الأمر لنا لنخترع ونبتكر أي شـيء نشاء، ولا بأي طريق نقوم وكما ذكرت لكم البارحـة أن الله ﷻ اختار هذه الأمة، وأخرجهم لإخراج الناس مما هم فيه من ظلمـة الشرك والكفر، ومن حياة الفسق إلى حياة الدين وحياة الإسـلام.. اختار هذه الأمة ليخرجوا الناس.. ولكن كيف يخرجون الناس وهم قد دخلوا بأنفسهم ؟!!

تحمل المسئولية: نحن علينا المسئولية إن الله ﷻ جعل على رقابنا المسئولية بعد ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ، أن نجتهد فـي جميـع العالم، ونخرج جميع الناس من حياة الشـرك والكفـر والفسـوق والعصيان، إلى حياة الإسلام ولكننا تركنا حياتنا ودخلنا في حياتهم !!! كيف نخرجهم ؟؟.

ولهذا أقول في هذا الزمان للمسلمين: أن مقـامكم هـو نيابـة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجهد لإقامة الدين في العالم، هذا

علينا مائة في المائة ولكن ٩٥ % من المسلمين يقولون: ما هـذا العمل ؟؟ وما تلك الوظيفة ؟؟

أي ينكرون أن هذه مسئوليتنا في العالم كله، بقى ٥ % مـن المسلمين ثلاثة في المائة منهم يقولون نعم لابد من هذه الوظيفـة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، لكن نتبع طريق الأنبياء، والنظـام الذي وضعه الله ﷻ للأنبياء والمرسـلين، يقولـون: هـذا لـيس ضروري، بل نتبع طريق اليسار أو طرق اليهود والنصارى، هـم يقولون: نتبع أي طرق نشاء.. بقى كم ؟ ٢ % وهم: نحن وأنتم.. أي أهل الدعوة والتبليغ، نقول: نعم لابد من القيام بهذه الوظيفـة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، ولابد من إتباع طريـق الأنبيـاء لكن.. بقى لكن ؟! لكن جهد الأنبياء نشتغل فيه بعد ما نتفرغ من أشغالنا الدنيوية، وصلنا إلى هذا المستوى، أولا: كنا نقول: ما هذا العمل؟ كيف نخرج من بيوتنا ومن أشغالنا ومن أهلنا؟ ومن أوطاننا ؟ الآن وصلنا إلى هذا المستوى، فأصبحنا نقول: نعم، نقوم بهـذه الوظيفة وبهذا الجهد وهذه المسئولية لكن بعد ما نفرغ من أعمالنـا وأشغالنا.

نعم نخرج في ثلاثة أيام ثم نعود إلى تجارتنا وأعمالنا، لكن كثير من المسلمين لا يتحملون الخروج لثلاثة أيام.

الذي لا يتحمل الخروج ولو لثلاثة أيام، كيف يخرج لإخراج العالم من حياة الشرك والكفر ومن حياة الفسوق والعصيان ؟

فالمطلوب أن نعرف أن مقصد هذا العمل في الحقيقة ليس الجهد في المسلمين وإنما المسئولية علينا لإخراج الناس كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقولون لما سئلوا ما سبب مجيئكم إلينا قالوا: فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لتدعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم! كم أحب إليكم؟ يوما أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا رؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله أن نؤخر

الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. (١).

هذه الأمة الله ﷻ جعل لها ميزة خاصة كما بين الله ﷻ ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٢) هذه الأمة الله سبحانه وتعالى اختارها من بين الأمم لنيابة الأنبياء ، ولذلك يقول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : هذه ميزة لكم يا أمة محمد ﷺ ما جعل الله هذا الأمر إلا للأنبياء ولكن الله ﷻ اختاركم من بين هذه الأمم لما كان يختار له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فأولاً : إيجاد الشعور والإحساس في المسلمين بأن المسئولية عليهم.

ثانياً : أن يكون جهدنا وقيامنا بهذه الوظيفة وبأي طريق ؟

هناك نظام وضعه الله ﷻ لغلبة أهل الحق على الباطل، ولغلبة

---

١) البداية والنهاية لابن كثير.

٢) سورة الأعراف – الآية ١٨١.

الأمم الدينية، على الأمم الكافرة، جعل الله نظاما مرتبا، ما جعله لأحد من الناس، ولهذا قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١) هذا تأكيد من الله ﷻ وأنتم العرب تعرفون هذا التأكيد: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ هذا تأكيد من الله ﷻ ولكن كيف يغلبون ؟ بالنظام الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ــ لا بأي طريق ــ بل هناك نظام دقيق مرتب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الله ﷻ أن الله ﷻ قال لأنبيائه قوموا أولاً بالدعوة إليَّ ما قال قوموا بالخلافة .. قال قوموا بالدعوة.. للأسف بعض المسلمين يضحون لأنهم يجتهدون بإخلاص ولكن بغير الترتيب الذي وضعه الله ﷻ .

جميع الأنبياء اجتهدوا بطريق واحد، وأنتم تعرفون إن بعض الأنبياء أرسلوا إلى أمم كافرة وبعض الأنبياء أرسلوا إلى الأمم الدينية الذي تغيرت أحوال الدين فيهم، ولكن سواء الأنبياء الذين أرسلوا إلى الكفار والذين أرسلوا إلى المسلمين الفساق ... كلهم

---

١) سورة الصافات – الآيات من ١٧١: ١٧٣.

عليهم الصلاة والسلام قاموا بطريق واحد وبترتيب واحد.

أربعة مراحل لهذا الطريق (طريق الأنبياء):

المرحلة الأولى: مرحلة الدعوة : فإذا قمتم بالدعوة فبعض الناس يوافقونكم وبعض الناس يخالفونكم، وقال الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام اصبروا اصبروا في أمر المخالفين، والذين يوافقونكم ويتبعونكم اجتهدوا عليهم، واجتهدوا في تربيتهم.

هناك من حكمة الله البالغة.. أنه جعل الدين الإسلامي قسمين:

القسم الأول (من الدين): لا يحتاج إلى الحكومة أبدا.

القسم الثاني (من الدين): إذا أردنا نطبقه لا بد من الحكم والقضاء.. والله ﷻ حكيم قال هم يريدون الحكومة والقضاء أم يريدونني ؟ هم يريدون معيتي ؟؟ أم يريدون الحكم والقضاء ؟؟

الله ﷻ بحكمته جعل الدين على قسمين: فلو اجتهدت الحكومات جميعا أن يدخلوا في قلب إنسان ما استطاعوا.

الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة العبادات بأسرها، جميع العبادات لا يمكن إقامتها عن طريق الحكومة، هل تعين الحكومة مع كل

فرد شرطيا يقوم معه ليدخل معه الحمام وينظر هل يتوضـــأ أم لا يتوضأ كيف يمكن إقامة الصلوات.؟

الصلاة: أهم العبادات هل يمكن إقامتها عن طريق الحكومـــة ؟ هل تعمل لهم الحكومة سجلات ؟ كما يكون في المدارس سجلات الحضور والغياب؟!.

وأمر الصوم: هل يمكن أن تجبره على الصوم بطريق الحكومة ؟ لا يمكن ؟ يدخل الحمام ويأكل ويشرب ماذا تعمل معه .. ؟!

والزكاة: هو يقول: ما عندي مال، وأصحاب الحكومات هـــم يريدون أن يأخذوا ضرائب من الناس، والرجل يقول لهم: ما عندي مال، ماذا تفعل معه الحكومة ؟.

والحج لله تعالى: يقول الله تعـــالى :﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَـــامُ إبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْـــتِ مَـــنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإن اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَـــالَمِينَ ﴾ (١)، وهو يقول: ما عندي استطاعة.

---

١) سورة آل عمران – الآية ٩٧.

والخلاصة: أن الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة، وكذلك جميع العبادات، فهي لا تحتاج إلى الحكومة أبداً، وكذلك الأخلاق والمعاملات لا تحتاج أيضاً إلى الحكومة.

الله ﷻ بين لأنبيائه عليكم بتربية أتباعكم في هذا القسم الذي لا يحتاج إلى الحكومة.

فإذا قام أتباعكم بهذه الأمور التي لا تحتاج إلى الحكومة فعلىّ تمكينهم في الأرض، عليك أيها النبي أن تجتهد فيهم وتربيهم .

لما قال أصحاب موسى عليه السلام ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ قال لهم نبيهم: ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

لا بد من فترة التربية، حتى تكون حياة المسلم متميزة، عن حياة الكافر، ولهذا جميع الأنبياء هم يجتهدون على أتباعهم حتى تصير حياتهم، مثل حياته صلى الله عليه وسلم.

فترة التربية تكون شديدة على أتباع الأنبياء عليهم الصلاة

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٢٩.

والسلام، وهؤلاء الأتباع يقولون للنبي: آمنا بإلهك، وبك، وبكتابك، فلماذا هذا الإيذاء وهذه الشدائد ؟؟ وهو يقول: لهم إلى الآن ما وصلتم إلى المستوى المطلوب .. يجب أن تكون: أعمالكم فيها قوة.. ويكون إيمانكم فيه قوة.. وتكون أخلاقكم عظيمة كريمة.. وتكون معاملتكم حسنة طيبة.

الأمم الدينية ماذا تقول . . ؟

أوه هذا طريق طويل كما نقول في زمننا هذا ماذا نقول؟ نقول من الدعوة إلى العبادات ومن العبادات إلى الأخلاق والمعاملات، وبعد ذلك يأتي النصر من الله ﷻ، هذا طريق طويل، كنت في لبنان وجلست مع عدد من أساتذة الجامعات فقال أحدهم: ما هذا ؟ أولاً: دعوة ليلا ونهار.. ثم تربية لإصلاح الإيمان والعبادات والأخلاق والمعاملات.. ثم تكون بعد ذلك نصرة الله هذا طريق طويل، قلت له: يا أخي أنت مدير في الجامعة هل يمكن أن تُعطى مجموعة من الطلبة الشهادة الجامعية، وهم ما درسوا في المرحلة الابتدائية ولا المرحلة المتوسطة ولا المرحلة الثانوية وما درسوا في الجامعة، ولكن هم يريدون أن يحصلوا على الشهادة العالية فهل

يمكنك أن تعطيهم هذه الشهادة ؟ قال لي: كيف ذلك وهم ما درسوا في المراحل التي ذكرتها ؟ لا يمكن هذا، فقلت له: خلافة الله في الأرض لابد لها من المراحل المهمة.. أنت لا تعطى هذه الشهادة ، شهادة من الورق ، لأحد حتى يجتاز هذه المراحل وينجح فيها، الخلافة هي نيابة الله ﷻ في الأرض، كيف نتصور أن يعطيها الله سبحانه وتعالى لأناس لم ينجحوا في هذه المراحل ؟!.

يتصور الناس أن الدين يعنى بعض الأحكام والعبادات وأدائها على طريق مخصوص اسم الدين ولكن حقيقة الدين كما بينه الله ﷻ والنبي الكريم ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين أن الدين هو ارتفاع الإنسان إلى الأعلى، أي وصول الإنسان إلى الله.

ومن الدين يُجعل الإنسان نائباً عن الله ﷻ في الأرض أي خليفة الله في الأرض، وإذا صار خليفة الله فيجعله خليفة على جميع الكائنات ويصير حاكماً لها.. فهو في جانب مخلوق وفى جانب آخر حاكم على المخلوقات(١).

---

١) قال الإمام القرطبى : آدم هو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى أهل الأرض – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

الله جعل في الإنسان شيئين : الحاكمية والمحكومية.. يعنى محكوم من الله ومأمور من الله.. وبعد ذلك يجعله حاكماً على الكائنات.. ولهذا بين للإنسان أن مقامك عند الله ﷻ الخلافة والنيابة: قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)، وقال الله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢).

من كان فيه مادة الخلافة فهذا الإنسان يصير إنسان .. ومن ليس فيه هذه الصفة فهو ليس إنسان بل فقط صورة إنسان .. فالمقصود أن يكون الله معه والكائنات تحته .

والخليفة هو الحاكم ومنه قوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (سورة صّ – من الآية٢٦) ويكون المعنى على هذا أن الله ﷻ خلق لآدم وذريته ما فى الأرض جميعاً ، وسخرها لهم ، وجعله حاكماً عليها لينشر فيها العدل بما هداه الله إليه من العلم ، وإجراء أحكام بين الناس وسياسة خلقه ، وتختص بآدم والخواص من بنيه (التفسير الوسيط –١/٧١).

١) سورة الذاريات – الآية ٥٦ .

٢) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

بعض الناس يظنون: أن اسم الخلافة أن يكون لهم في بعض المناطق حكومة وهذا ليس صحيح .

ولكن في الحقيقة: الخلافة اسم ليتعلق الإنسان بخالقه حتى يصير نائباً من الله على المخلوقات سواء له حكومة أم لا وهذا يصير خليفة الله.

وليست حقيقة الخلافة أن يعطى المسلمون اختباراً تحريراً في الدين ثم بعد ذلك تعطى لهم الخلافة، الخلافة ليست هكذا.

الخلافة: أن الله ﷻ يعطى أمرا لجميع مخلوقاته حتى الملائكة: أن هذا الشخص صار عبداً لي تابعاً لي مطيعا لجميع أوامري، فعليكم أن تطيعوه وتمتثلوا أوامره كلما أمركم، أن الله ﷻ قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة) لمن قال: هذا الكلام ؟ لآدم ، هل كانت معه حكومة ؟ أي أسلحة ؟ إن الله ﷻ يعطى أيضاً الحكم والقضاء بين الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً

وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) فالله تعالى يعطى الملك والحكومة ولكن حقيقة الخلافة أن الله يسخر جميع الكائنات لتكون في نصرته وفى خدمته وتخضع له .

يقول الله ﷻ للكائنات: عليكم أن تمتثلوا أوامره كما تمتثلوا أوامري.

هذا الخليفة.. الله ﷻ اختاره لنيابته في الدنيا، ولمجالسته في الآخرة.. ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٢)، هؤلاء هم خلفاء الله في الدنيا سخرت لهم البحار فيعبروها بلا سفن فلا تغرقهم.. سخرت لهم الوحوش فلا تفترسهم.. سخرت لهم الملائكة في نصرتهم وخدمتهم خضعت لهم النيران .. وسائر الكائنات، حسب ما هو مدون في كتب السير .

فالإنسان لا يعرف مكانته، أن الله شرفه على جميع الكائنات، والله ﷻ أسجد له الملائكة، كما قال في قوله تعالى:﴿ فَسَجَدَ

---

١) سورة النور – الآية ٥٥.

٢) سورة القمر – الآية ٥٥.

الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١).

الإنسان لا يعرف مكانته، الله ﷻ يعرف لأي شيء خلقه، ولذلك لما قالت الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) قال سبحانه لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إني أرسلهم إلى مركز الامتحان ــ هذه الدنيا ليست ميدان اللعب ولا محل القرار هذه الدنيا مركز الامتحان.

والامتحان في أي شيء ؟ الامتحان هل يعيش حياة الإنسان أم يعيش حياة الشيطان والحيوان ؟

الله ﷻ أرسل الأنبياء والمرسلين ، وقال للناس: هذا الإنسان أسوة لكم ، من أراد أن يعيش حياة الإنسان فعليه بإتباع الأنبياء، والله سبحانه يقول: من كانت حياته مطابقة لهذا الإنسان فهو من

---

١) سورة الحجر – الآية ٣٠.
٢) سورة البقرة – الآية ٣٠.
٣) سورة البقرة – الآية ٣٠.

أهل الجنة ومن تكون حياته مخالفة لهذا الإنسان، فعليه اللعنة فهو من أهل النار فمقام الناجحين في هذا الامتحان : الجنـــة.. ومقـــام الراسبين: النار.

الله ﷻ بين للأنبياء هذا النظام، قال: عليكم أن تجتهـــدوا فـــي أتباعكم بالتربية التامة.. هؤلاء الأنبياء يقومـــون فـــيهم بالـــدعوة ويقولون لهم: عليكم أن تغيروا حياتكم إلى حياتنا، فمنهم من يغير ومنهم من يقوم للقتال، هناك يقول الله ﷻ: لا تخافوا من أحد أنـــا معكم ولو كانوا ملايين أنا معكم ٠

ولا أريد أن أكرر الكلام معكم في قصة بني إسرائيل ، فالله تعـــالى يقول ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَـــوْنَ بِـــالْحَقِّ لِقَـــوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١) لمن يا رب ؟ لليهود ؟ للنصـــارى ؟ لا:﴿ لِقَـــوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هو يقول انظروا كيف وقعت هذه الأمة في ذلة وهوان.. كيف وقعت ؟ ولماذا وقعت ؟ لما هم فقدوا معيتي بعد ذلـــك هـــم انتبهوا وتابـــــوا :﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَـــانُوا يُسْتَضْـــعَفُونَ

---

١) سورة القصص – الآية ٣ .

مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّــكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَــانَ يَصْــنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (١) ما قال : ورثوا ، وإنما قال : " وأورثنا " ويقول في شأنكم كذلك : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِــنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَــرَ بَعْــدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

الاستخلاف: أنتم ما شاء الله تعرفون معنى الاســتخلاف، هــل معناه أنتم تجتهدون لكي تكونوا خلفاء ؟ أم الله يستخلفكم .. الله هو الذي يستخلفكم.

الاستخلاف: ليس شيئاً مكتسباً إنما هو موعود ومشروط .

ليس الترتيب هكذا أن أهل الــدين هــم يتحصــلون الحكومــة

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٣٧.

٢) سورة النور – الآية ٥٥.

والقضاء ثم يقيموا الدين، ولو كان كذلك لقال الله تعالى: الذين يجتهدون لحصولهم على الخلافة، أولا: أنا أعطيهم الخلافة، ثم بعد ذلك يقيموا الإيمان والأعمال الصالحة ويقيموا الدين.

ولكن الله يبين هذا الوعد بشرط: الذين يتحقق فيهم الإيمان والأعمال الصالحة ، أنا أكرمهم وأنعم عليهم أعطيهم الخلافة، ولم يبين أنا أولا: أعطيهم الخلافة ، ثم بعد ذلك هم يقيموا الدين ولهذا أنا أقول: من طريق الدين يصلون إلى الخلافة هم كانوا على الدين أعطاهم الله ﷻ إنعاما وإحساناً الخلافة، ولا نقول: إنه بالخلافة يأتي الدين ، هذا هو الخلاف بين الذين يعملون للدين في هذا الزمان هم يقولون أولاً نتحصل الحكومة والقضاء وبعد ذلك نقيم الدين ونحن نقول لا أولا تقيموا الدين وبعد ذلك تأتى الخلافة من الأساس إلى السقف أم من السقف إلى الأساس ؟.

أهل السياسة يقولون: من السقف إلى الأساس ونحن نقول من الأساس إلى السقف فقط هذا هو الخلاف وهذه هي المشكلة الأساس هو الإيمان وزيادة الإيمان والجدران الأعمال والأخلاق والسقف الخلافة.

الصحابة اجتهدوا من الأساس فوصلوا إلى السقف، والآن هم يجتهدون للسقف ليصلوا منه إلى الأساس !!!، ولكن بغير أساس وبغير الجدران يقع علينا السقف فنموت تحته !!!. اتقوا الله ﷻ.

هذا هو الترتيب والنظام الذي وضعه الله ﷻ للأمم الدينية ولجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... بعد التربية أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ليس الخلافة وإنما أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ﴿ إني معكم ﴾ معية الله ﷻ تكون معنا .

الآن نجتهد لمعية كل شيء لمعية القومية .. لمعية العصرية .. لمعية الحكومة .. لكل الأشياء نجتهد أن تكون معنا .. الدكان يكون معنا لنجاحنا وفلاحنا.. الأكثرية تكون معنا .. الحكومة تكون معنا .. فكرتهم كانت مغايرة لفكرة الكفار، الكفار يقولون هذه الأشياء تكون معنا والمسلمون يقولون الله يكون معنا يكفينا هو حسبنا .. أول معركة بين المسلمين وبين الكفار ، الله ﷻ قال ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

لَكَارِهُونَ﴾ (١) في أي شيء كانوا كارهين ... هم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أخرجتنا في غير عدة ولا عدد وهل يكون القتال بغير سلاح وبغير آلات الحرب ؟ هم أكثر منا ونحن جئنا بغير سلاح ما عندنا سيوف ولا شيء من السلاح، أنت أخرجتنا وقلت كيفما كنتم تعالوا فقط، تعالوا وبعد ذلك نحن الآن على مسافة أربعين ميلاً من المدينة أخرجتنا في هذه الحالة والآن كيف يكون القتال ؟ ما عندنا أدوات الحرب ؟ .

ثم جاءهم الجواب من الله ﷻ؛ وليس هذا الجواب لهم فقط ، بل لتعليمنا إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) .

لم يقل بسلاحه بل بكلماته لأني معكم ، إذا كان معكم السلاح فاستعملوه وإذا لم يكن معكم السلاح فإني معكم أنا أكفيكم، أنا أنصركم عليهم، أنا أحفظكم وأكفيكم من كل شيء، أنا معكم، الله

---

١) سورة الأنفال – الآية ٥.

٢) سورة الأنفال – الآية ٧.

ﷻ علمهم في هذه المعركة، أنهم لا يحتاجون إلى الأشياء، التي يحتاج إليها أهل الكفر.

أهل الكفر بثوا في قلوب المسلمين في هذا الزمان.. أنكم أصبحتم في تأخر، ونحن تقدمنا، وليس عندكم سلاح ولا شيء، فكيف تغلبوننا، فعليكم بإتباعنا لأهميتنا، فسرنا وراءهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. هذه هي المشكلة، وحصل ما حصل، كلكم تعرفون، ولهذا الله قال في هذه المعركة، أولا: قال: بألف من الملائكة: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) ثم قال ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ (٢) قال تعالى:﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ (٣)

وبعد ذلك ماذا يقول ؟ يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ

---

١) سورة الأنفال – الآية ٩.

٢) سورة آل عمران – الآية ١٢٤.

٣) سورة آل عمران – الآية ١٢٥.

وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١).

المقصد أن المسلم لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أهل الكفر، وهناك سنة الله ﷻ أنه سبحانه وتعالى جعل صورة القدرة مع الكفار، وجعل حقيقة القدرة مع المسلمين، وحقيقية القدرة غالبة دائما على صورة القدرة .

ولكن من سنة الله ﷻ، أن الأمم الدينية إذا كانت بمعية الله ﷻ في مواجهة الكفار، فإن الله يجعل أعناق الكفار مع سلاحهم تحت أيديهم يا ليتنا نعلم ونوقن.

الإنسان يتأثر كثيرا بالبيئة والعادة، ومن رواج بعض الأفكار يجد في أيدي بعض الناس أشياء، فيأتي في قلبه لو أن في يدي هذه الأشياء فأفوز وأفلح .

نرى بعض الناس يطبقون باطلهم عن طريق الحكومة.. الحزب.. الأكثرية.. الأغلبية في البرلمانات المختلفة.. فيأتي في القلب التأثر من هذه الأشياء ونقول: يا ليت لنا مثل ما أوتي هؤلاء

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٢٦.

.. لا ، لا .

إن لأولياء الله طريق ولأعداء الله طُرق مختلفة .. طريق أولياء الله غير طرق أعداء الله .

أعداء الله يريدون، أن يتحصلوا على القوى المادية ليغلبوا بها ، ونحن ظننا ؛ أنه لو كانت عندنا القوة المادية نغلبهم.. ما عرفنا أين قوتنا، وكيف تكون لنا الغلبة، ومن أي طريق يكون النصر ؟ .

نحن ظننا، أننا نغلبهم بالقوى المادية، هذا لا يمكن إلى يوم القيامة.. والكفار يعرفون ذلك جيداً.. يعرفون أنهم، متفوقون علينا من ناحية القوات المادية .. والله ﷻ يأمرنا أن نذكر ولا ننسى من الذي ينصرنا ، كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتم قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرض تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١) .

من أين لهؤلاء الضعفاء المستضعفون أن تأتى تحت أقدامهم الدول العظمى- كما يقولون- هذه الإمبراطوريات الكبيرة في الشرق والغرب كيف جاءت تحت أقدامهم، كان سيدنا عبد الله بن

---

١) سورة الأنفال – الآية ٢٦ .

مسعود ضعيفا نحيفا، وحين علا بقدمه فوق رأس أبى جهل تعجب فرعون هذه الأمة، وقال: لقد ارتقيت رتقاً صعباً يا رويعي الغنم .. نعم إنها النبوة ، إنه نصر الله ، إنها معية الله، هذه هي القوة الحقيقية ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا .

قيل لي ذات مرة : أليست السياسة في الدين ؟

قلت: السياسة الدينية في الدين، أما سياسة الكفار فليست من الدين في شيء، كما أن عبادة الكفار ليست من الدين، هل عبادة الكفار من الدين فإننا لا نعبد ما يعبدون، فكما أن عبادة الكفار ليست من الدين فكذلك سياسة الكفار ليست من الدين أبدا.. أما السياسة الدينية فهي من الدين ولا شك.

وما هي السياسة الدينية ؟

السياسة الدينية هي: أنه بمعية الله ﷻ نفوز ونفلح في الدنيا والآخرة ، ومعية الله ﷻ كيف نتحصل عليها ؟ .

لا يمكن أن نتحصل عليها، إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا

يمكن أن تأتى في المجتمع الإنساني إلا بجهد الأنبياء عليهم السلام، لا يمكن أن تأتى حياة الدين في المجتمع الإنساني عن طريق الحكومة.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا بشيئين:

١) حياة الدين .

٢) نظام توصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني، وهو الدعوة لا الحكومة.

الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، كانوا من أول لحظة يجتهدون الجهدين معا، يجتهدون في أن يحيوا حياة الدين وفى نفس الوقت يجتهدون لتوصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني .. كونوا مثلنا.

والخلاصة: أنه لا يمكن، حصول الخلافة والإمامة والتمكين إلا بمعية الله ﷻ ، ومعية الله ﷻ لا نتحصل عليها ؛ إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا يمكن إيجادها.. إلا بطريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، طريق الدعوة على منهاج النبوة هذه خلاصة السياسة الدينية.

أما سياسة اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم ؛ فإنهم يفرضون باطلهم بطرق مختلفة، ويسعون جاهدين عن طريق الأغلبية.. الحزب القوى.. الاعتصامات.. الإضرابات.. المظاهرات.. المسيرات.. توزيع المنشورات.. تعليق اللافتات.. شكوى الحكومات عند المنظمات التي يشرف عليها اليهود والنصارى أو ما يسمى بلجنة حقوق الإنسان.. الامتناع عن الطعام والشراب حتى تلبى مطالب معينة.. العنف والعنف المضاد.. دخول المعارك الانتخابية للحصول على مقاعد البرلمان والأجهزة المختلفة.. الصراع السياسي بكافة أشكاله.. وما أدرى لماذا كل هذا، وغيرها ؟

هي وسائل أهل الباطل اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم.

وكذلك وسائل أهل الدنيا، في الضغط على الحكومات، للحصول على مطالب دنيوية، وتيسير مزيد من الشهوات.

والسؤال: هذه الوسائل أو شيء منها استخدمها أي نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

لا وألف لا، وهل هذه السياسة (سياسة الفساق والفجار) من الدين لا وألف لا.. إن لأولياء الله طريــق، ولأعــداء الله طــرق مختلفة .

ونحن إذا سرنا في طريقهم، فلن نصل إلى شيء؛ إلا التخبط والاضطراب، وتأتى علينا المصائب من كل ناحية.

ولا نريد أن نفيق، ولا نريد أن نفهم، ولا نريد أن نسير بالنظام الذي خلقه الله ﷻ وارتضاه، لغلبة الحق على الباطل.

عندما يسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في طريق الدعوة فبعض الناس يقوم لقتالهم هنا بإذن الله ﷻ نقاتلهم كما قــال تعــالى :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَــدِيرٌ﴾ (١) وهكذا من خلال التمكين والاستخلاف الذي أعطــاه الله ســبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات تبدأ مراحل القتال المختلفة .

فقط علمنا أن في الإسلام قتال، فقلنا هيا نقاتل ما تفكرنا مثلا ؟ وكيف؟.

فكما أن الصلاة فيها قيام وركوع وسجود وجلوس، وقبل ذلــك

---

١) سورة الحج – الآية ,٣٩

الطهارة بنظام وترتيب مخصوص، كذلك في الدين الإيمان، العبادات، الأخلاق، المعاملات، الخلافة والتمكين، الحدود، التعزيرات، القتال والله ﷻ جعل لذلك ترتيباً ونظاماً لابد منه، فلو أنني رأيت رجل يصلى بغير وضوء، أو يبدأ الصلاة بالسجود، فقلت له: لا .. لا يا أخي ليست الصلاة هكذا، فهو يغضب، ويقول: انظروا كيف يمنعني هذا من، أن أصلى لربى .. يا أخي: أنا، لا أمنعك من الصلاة، ولكن لهذا الأمر ترتيب، لا يقبل إلا به، وبغيره لا تكون صلاة .

فهيا بنا .. إلى المنهج الرباني لإقامة الدين، ونشر الدين، بالترتيب الصحيح الذي شرعه الله ﷻ للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وهيا بنا.. نخلع من أعناقنا، الطرق المخترعة، التي لا توصل إلا إلى إضاعة الجهد والوقت والمال سدى.

نعم ، تعالوا جميعا، نترك السبل، لنتبع السبيل الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به حيث قال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

الشيخ إلياس ورأيه في السياسة الأرضية:

كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يري أن الفساد الموجود في العالم لا يزول ولا يتغير ويحل بدلا منه الإصلاح في كل نواحي الحياة إلا بالإيمان بالله وحده والأعمال الصالحة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾(٢).

ويري الشيخ الثورات العنيفة تؤدي دائما إلي الفشل، وإذا نجحت فلمدة وجيزة، حتى تقهرها العناصر المادية، فتلهيها بالصراع علي السلطة والاحتفاظ بها، وبهذا يبتعد هذا الحكم الإسلامي عن منهج الإصلاح.

أما إذا فشلت القيادة الإسلامية فإن ذلك يؤدي إلي انقراض العناصر التي تُحب الدين بكل صورها المختلفة.

---

١) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

(٢) سورة الرعد ــ الآية ١١.

ولكن إذا أصلح الفرد نفسه ومجتمعه فستنبت منه القيادة السليمة التي لا تزول ولا تنهار.

ولذا لا بد من تربية العامة تربية إسلامية كاملة حتى يصلح المجتمع كله، بأفراده وحكوماته، فيؤتى ثماره المرجوة منه(١).

ويقول الندوي: كان الشيخ محمد إلياس يعتقد تمام الاعتقاد أن الإيمان هو العمود الفقري في الدعوة إلي الله في أول الأمر ولن تتولد الرغبة بالتمسك بالدين والعمل بالشريعة المطهرة ، ولن تؤتى ثمارها إلا بالإيمان الكامل ثم الانقياد الكامل لربه الذي آمن به ، لأنه لا تُصلح الأخلاق والمعاملات في الحياة إلا بإيمان الفرد إيمانا كاملا بمالك الملك، مالك يوم الدين، وكذلك لن تقوم الحكومة إسلامية ، ولن تقوم للسياسة قائمة بغير الالتزام بالعبودية والانقياد الكامل لحاكمية الخالق الواحد القهار ، كما أنه لن ينال هذا الانقياد إلا بالنجاح الكامل في الدعوة إلي الله، وبذل كل الجهود لأجلها.

---

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بيرزاده ص ١٣١).

فمن هنا اعتقد الشيخ أن السياسة التي ليس قوامها الدعوة إلي الله ، فهي ليست إلا بناءً متزلزلا لا أساس له، وإن بنيت فلن تلبث أن تنكص علي أعقابها، كبيت بني علي كثيب من الرمال فانهار.

فالمراد هنا بالسياسة هو تنفيذ الأوامر بالحكم والقوة تحت نظام وضوابط شرعية.

أما المراد بالدعوة، فهي الترغيب والتقريب إلى هذه الأحكام الإلهية التي تتفق مع الفطرة اتفاقا تاما.

ولذا كان الشيخ يعتقد أن السياسة بمفهومها الصحيح هي جزء من الدين الإسلامي، كما اعتقد أن السياسة لا تنفع بغير العلم والإخلاص والتربية الروحية الخالصة، كما أنه لا تأتى هذه السياسة بنتائج غير سليمة بغير أن تبدأ بالعمل الجاد، وتطبيق المبادئ والعناصر الأخرى التي لا بد من معرفتها، بجانب التربية العلمية السليمة.

وأول هذه المراحل هي الاشتغال بالدعوة إلى الله وتربية النفس والمجتمع علي أسس نقية خالية من الشوائب ، وفي هذا يقول الشيخ: إن هذا الدين يقوم على ثلاثة مبادئ ليس إلا لإدراك

علوم الشريعة والطريقة والسياسة والعمل بها ، لأن الـــدين يقـــوم على ثلاثة مبادئ أساسية هي العقيدة والعبادة والسياسة، وأن طريق دعوتنا من نظم التعليم فيها لا تضمن تحصيل هذه العلوم فحسب، بل تحتوي علي التجربة العملية لهذه المبادئ الرئيسية، حتي تزداد هذه العلوم الثلاثة في الإنسان بمنهج العلم والعمل، ولا يكون ذلك إلا بتمسك الإنسان والتزامه بأصول دعوتنا الإيمانية (١).

فكانت نظرة الشيخ محمد إلياس لسياسة المسلمين حـــين ذاك نظرة ثاقبة، حيث يقول: إن الكفاءات السياسية في الأمة قد أنهكت قواها منذ قرون، فهل تستمر تلك الحالة المريرة؟ كلا بـــل علينـــا بالعمل بمبادئ الدعوة إلي الله وأصـــولها الســـليمة مـــع الصـــبر والتحمل، وأن تختار منهجا قويا ينفع المسلمين يجعلهم أهلا لرسم الخطط وتشكيل النظم وتنفيذها، وخاصة بعد تحملهـــم المســـئولية الكاملة في الطاعة والانقياد الكامـــل للنظـــام الإلهـــي، واحتـــرام شرعيته، والسير علي هداه، بدلا من اتباع أهواء النفس وشهواتها

---

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخـــالق بيـــر زاده صـــ ١٣١).

والمنافع والمصالح الذاتية، فإن السياسة في ماهيتها البسيطة تحتاج إلي دعوة كبيرة في الكم والكيف (١).

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن كل ذرة كامنة في كيان السياسة تحتاج إلي دعوة وجهد كبيرين حتى يقضي علي أسباب علي أسباب الضعف في تلك الذرة ، فلا تضعف أمور السياسة حين لا تضعف أمور الدعوة، لأن العجلة في أمور الدعوة وازدياد سرعتها دون الجدية في الكيف، تكون السبب في التدهور في السياسة، وتصاب بالخمول، وتصرع في الوادي المجهول، بل لا تقوم للسياسة قائمة في الوجود، حتى وإن تجدد كيانها، وظهرت عمارتها، فإنها تعود خاوية علي عروشها(٢).

ويقول الشيخ : إن المقصد الحقيقي لإعطاء الحكم للمسلمين عند الله ليس إلا (إعلاء كلمة الله) ثم تنفيذ الأحكام المنزلة من عنده سبحانه وتعالى، وتنفيذها على نفسه أولا، حتى يمكن تنفيذها

---

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بيرزاده صـ ١٣٣.

(٢) المرجع السابق.

على غيره من الناس(١).

ويقول الشيخ : إن القيام بالعبادات يؤدي إلي الإصلاح في الأخلاق والمعاملات والمعاشرات، وكل ذلك يجعل الفرد أهلا للأخذ بزمام الحكم ((فإن الصلابة في الدين تجعل الحاكم قويا عن الآخرين في جميع أمور الحياة بما فيها السياسة ، وخاصة في تنظيم وتنفيذ الأحكام في البلاد)).

ومن هذا فقد ثبت لنا أن الشيخ محمد إلياس لم ينكر السياسة الإسلامية الخالصة لوجه الله، شريطة أن تكون أهدافها إعلاء كلمة الله. (٢).

ويقول الشيخ سعد هارون حفظه الله ورعاه: الذي يرجو صلاح الأحوال من الحكومات والحكام هو والذي يرجو صلاحها من الأصنام سواء، فهذا يرجو من أصنام ثابتة وذاك يرجو من أصنام متحركة ؛ صلاح الأحوال بيد الله وحده وسنة الله في ذلك

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الشيخ محمد إلياس الدهلوي حياته ومنهجه في التبليغ لعبد الخالق بيرزاده صـ ١٣١.

معروفة، قال الله تبارك وتعالى- في سورة الرعد:(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (١).

ومن لوازم هذا تغيير ما في النفس تغيير البيئة والصحبة كما قال العالم لقاتل المائة نفس.

ويقول الشيخ محمد قاسم القاسمي (رئيس تحرير مجلة نداء الإسلام) في مقال تحت عنوان: الدعوة والسياسة: لاشك أن الأمة المسلمة أيقظتها عوامل عديدة من سباتها العميق. لقد تحدثتُ قبل هذا في هذا العمود عن "الصحوة الإسلامية بين الآمال والمخاوف.

أهم شيء بعد اليقظة أن يعرف الشخص كيف ومن أين يبدأ نشاطه. فإدراك الأولوية هام وضروري لمن نهض من نومه العميق.

فإذا كان القادة والمصلحون الذين يقودون الصحوة الإسلامية ارتكبوا الأخطاء والزلات في الأولويات، وقفزوا إلى مراحل متقدمة ومتطورة قبل تثبيت الدعائم وإكمال المتطلبات في المراحل

---

(١) سورة الرعد _ الآية ١١.

التمهيدية، فلا غرابة إذن أن يضيع الكثير من الجهود، وأن لا تبقى نتيجة إلا الحسرة واليأس.

سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو النموذج الكامل والناجح للمسلمين وخاصة للناشطين في مجالات الدعوة والإصلاح، والقائمين على الحركات الدعوية والتربوية والنهضات الشعبية الدينية. يجب أن نركز رؤيتنا على كيفية إصلاح الرسول الكريم المجتمع، وماذا كانت أولويات الرسول صلى الله عليه وسلم في حركته الإصلاحية، وإلى أي جوانب اهتم أولا؟.

كيف استعمل من التدريج والحكمة في تطوير الأهداف والبرامج؟ مطالعة السيرة وتدقيق النظر فيها تعلمنا كيف اهتم الرسول الكريم بالدعوة والبنى التحتية للمجتمع الإسلامي. المجتمع الذي واجه مع الرسول الكريم، كان مجتمعا جاهليا؛ فسد فيه كل شيء من العقائد والأفكار والأعمال والأخلاق.

الإصلاح البسيط وتشريع عدد من القوانين لم يكن نافعا وحلا لمشكلات تلك المجتمع .

كان الرسول الكريم في ظل الهدايات الربانية يعرف جيـــدا أن الأعمال والأخلاق لدى البشر تنشأ من معتقداتهم وأفكـــارهم، ولا يمكن أن نرجو ثمرة جيدة من شجرة فسدت جذورها في الأرض. وما أحسن قول الله تعالى في القرآن الكريم "والبلد الطيب يخـــرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا."

لذلك استهدف رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب، وغيّـــر الميول والرغبات، وأصلح الأفكار والرؤى والعقائد. يصف العلامة أبو الحسن الندوي، إمام الدعوة والفكر الإسلامي في كتابه العظيم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" دعوة الرسول الكـــريم بهـــذه الألفاظ: "بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والعالم بنـــاء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً، فإذ كل شيء فيه فـــي غيـــر محله. نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانـــت عليـــه إنسانيته؛ رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر. رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته، فلم تعد تســـيغ البديهيات، وتعقل الجليات، وفسد نظام فكره، فإذا النظـــري عنـــده بديهي وبالعكس، يستريب في موضع الجزم، ويؤمن في موضـــع

الشك، وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث، ويستمرئ الوخيم، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم، ولا يحب الصديق الناصح. رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله. قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظيا، والصالح محروماً شقياً لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف، ولا أعرف من المنكر، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى هوة الهلاك. وكان مجال العمل في بلاد العرب فسيحاً إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً إقليمياً وسار في قومه سيرة القادة السياسيين والزعماء الوطنيين، كان له أن يعقد للأمة العربية لواء تنضم إليه قريش والقبائل العربية، ويكوِّن إمارة عربية قوية موحدة يكون رئيسها، ولاشك أن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما كانوا في مقدمة من ينضم إلى هذا اللواء القومي، ويقاتلون تحته ويقلدونه الزعامة". (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) السيرة النبوية تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل هكذا، لأنه كان يعرف جيدا أن حكومة مثل هذه

ستنهار، لأنها لم تبن على أسس قوية متينة. كان الرسول الكـــريم يعرف جيدا أن الشعب الذي لم يتربّ أشخاصه، لا يمكن تحميـــل الأحكام الشرعية على ذلك الشعب، لأنه سيظهر النفاق بعد مدة في ذلك المجتمع أو يستنكف معظم أشخاص ذلك المجتمع عن العمـــل على الأحكام ويهربون منها.

مع الأسف يسعى الكثير من المصلحين والإسلاميين المعاصرين الذين لا شك في صلاحهم ورزانة أخلاقهم، دون الاهتمام الجيد إلى الأسس والبنى التحتية في المجتمع ودون ملاحظـــة العديـــد مـــن الحقائق، أن يصلوا إلى كرسي الحكم وأن يقودوا المجتمع من فوق أريكة القدرة والمنصب نحو الإسلام بأي طريقة ممكنة؛ مثله كمثل بستاني رأى شجرة جافة فيسعى في إلصاق أثمار بها.

لاشك أنه لا يمكن أن نطلق على مثل هذه الشجرة أنها شـــجرة مثمرة. الشجرة المثمرة هي التي تستعد لإعطـــاء الثمـــرة ويقـــوم البستاني بإصلاحها والقيام بها في الأوقات المناسبة.

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه "واقعنا المعاصـــر": وكـــل تعجل في ميدان التربية بالذات لا يأتي بخير، لأنه يكـــون بمثابـــة

إقامة بنيان على غير أساس، أو على غير أساس مكين؛ فكلما ارتفع كان عرضة للانهيار.

والذين يستطيلون الطريق، ويحسبون أن هناك طرقاً أقصر وأخصر، ينبغي أن يأخذوا عبرة التجربة.

فإذا كنا لا نعتبر بالأحداث، فذلك في ذاته دليل على نقص في تربيتنا يحتاج إلى علاج!

لذلك يجب أن نسعى من خلال الدعوة والتربية المستمرة، أن يحل الدين مكانه في قلوب الطبقات المختلفة من الشعب ويقبل الناس على الإيمان والعمل الصالح، عندئذ يتحقق وعد الله تعالى. كما يقول الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) يتضح من هذه الآية أن الحكومة الصالحة هي من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة. كلما وصل المسلمون إلى الكمال في الإيمان وأصلحوا أعمالهم، يعطيهم الله تعالى ثلاث نعم :١- الاستخلاف ٢- التمكين والقدرة ٣- الأمن.

بناء على هذا ذهب بعض المفكرين الإسلاميين إلى أن الحكومة في الإسلام موعودة وليست مقصودة.

فلم يكن هدف الأنبياء الوصول إلى الحكم، وإن كانت الحكومة أتتهم كوسيلة لتنفيذ الأحكام الشرعية، وهي في الحقيقة كانت هدية على جهودهم الدعوية.

الحقيقة أن الدعاة والإسلاميين كلما أرادوا أن يتولوا القدرة دون الاهتمام إلى مراحل التربية والدعوة والسعي لإصلاح الأكثرية في المجتمع، لا يكون خصومهم السياسيين وكذلك الأنظمة الاستبدادية مانعين لهم من هذا الأمر فحسب، بل يتصدون لكافة نشاطاتهم الفكرية والثقافية السلمية، وتكون عندئذ اصطدامات عنيفة بين أعضاء هذه الحركات الإسلامية وأنظمة الحكم، وتتوجه خسائر كبيرة إلى المجتمع الإسلامي.

وإن وصلت هذه الحركات إلى القدرة والحكومة بطريقة، لن يستمر ذلك الحكم ولن يثبت. وإذا توسلت إلى القوة والضغوط لاستدامة حكمها، تفقد شعبيتها في قلوب أفراد المجتمع.

أشار العارف والداعي الكبير الشيخ محمد إلياس رحمه الله إلى مطلب هام يرجى أن يجعله الدعاة والعاملون في المجالات السياسية في البلاد الإسلامية نصب أعينهم.

ويكتب العلامة الندوي رحمه الله في كتابه "الشيخ محمد إلياس ونهضة الدعوة والتبليغ" حول هذه القضية: "جدير بالذكر أن كل سياسة لا تكون قائمة على أساس الدعوة، متعرضة للإنهيار.

كان الشيخ محمد إلياس له وجهة نظر خاصة في هذا المجال وكان يقول: للقدر القليل من السياسة نحتاج إلى الكم الهائل من الدعوة.

كلما ضعف الدعوة أو استعجلت في مراحلها، يأتي بقدره ضعف وتضخم في السياسة، أو لا تحصل الأهداف المطلوبة من تلك السياسة، أو سيتعرض بناء تلك السياسة للانهيار بعد الوجود. هذه هي الحقيقة في أرض الواقع.

فالنظم والقوة العظيمة في الخلافة الراشدة وتنظيمها الخاص والإطاعة الفريدة للناس منها، كانت نتيجة الدعوة الطويلة المنظمة

التي بدأت منذ بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرت إلى نهاية الخلافة الراشدة.

لكن الضعف بعد ذلك والانحطاط الاجتماعي كانت من نتائج التغافل عن الدعوة الذي حدث في عصر بني أمية وبني العباس.

كان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يكرر في غالب الأحيان وصية الحسن بن علي رضي الله عنه لأخيه الحسين رضي الله عنه: من الآن يجري أمر هذه الأمة من خلال الدعوة.

كان الشيخ محمد إلياس رحمه الله يعتقد أن سبب الكثير من الاختلافات والمفاسد والتشتت، هو تقديم السياسة على الدعوة، والنشاط الديني يعمل بطريقة سياسية وتنظيم غربي(١).

وقال الشيخ(رحمه الله): إن الناس الذين يظن فيهم أنهم موفون وحامون للدولة ، ففي الواقع أنهم ليسوا وافون ولا حامون لأحد بل هم في الأصل وافون لأغراضهم الذاتية نعم لأن اليوم أغراضهم

---

(١) الشيخ محمد قاسم القاسمي رئيس دار الإفتاء بجامعة دارالعلوم زاهدان وأستاذ الحديث فيها (رئيس تحرير مجلة نداء الإسلام).. تعريب: عبد الله البلوشي(من مختارات مجلة نداء الإسلام بموقع الكتروني أونن لاين موقع أهل السنة والجماعة بإيران).

الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .

فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

وطريقته هو تصحيح النية : لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم اللّاهيّة والإخلاص وفقدان شأن العبودية، فبتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى الله البتة، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينية، فيكون صدور جميع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود جل جلاله.

فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص واللّاهيّة والحقيقة في الأعمال نعم لأن اليوم أغراضهم الدنيوية تستوفي من الدولة الحالية فلذا هم وافون ويحامون لهذه الدولة ولكن إذا بدأت أغراضهم غداً

تستوفى من أعداء الدولة فحينئذ هم هؤلاء الذين يصبحون حامين ووافين لأولئك الأعداء مثل ما هم مع هؤلاء الآن .

فالحقيقة أن مثل هؤلاء هم عُبّاد المصلحة ولم يكونوا أوفياء حتى لآبائهم.

كلام نفيس للعلامة الفقيه ابن العثيمين(في كيفية استرداد فلسطين للمسلمين):ولا يمكن أن يستردوها إلا باسم الإسلام على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، كما قال تعالى:{ **إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** } (١)؛ ومهما حاول العرب، ومهما ملأوا الدنيا من الأقوال والاحتجاجات، فإنهم لن يفلحوا أبداً حتى ينادوا بإخراج اليهود منها باسم دين الإسلام ، بعد أن يطبقوه في أنفسهم .؛ فإن هم فعلوا ذلك فسوف يتحقق لهم ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم: " **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ، وَالشَّجَرِ،**

---

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٢٨.

فَيَقُولُ الْحَجَرُ، أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ "رواه مسلم.

فالشجر، والحجر يدل المسلمين على اليهود يقول: "يا عبد الله" . باسم العبودية لله .، ويقول: "يا مسلم" . باسم الإسلام .؛ كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ :"لَا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللّهِ هَذَا يَهُودِيّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلّا الْغَرْقَدَ فَإِنّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ " رواه مسلم ، قال: يَا مُسْلِمُ ولم يقل: "العرب ..."ولهذا أقول: إننا لن نقضي على اليهود باسم العروبة أبداً؛ لن نقضي عليهم إلا باسم الإسلام؛ ومن شاء فليقرأ قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَالِحُونَ } (١)، فجعل الميراث لعباده الصالحين؛ وما عُلِّق بوصف فإنه يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه؛ فإذا كنا عبادَ

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

الله الصالحين ورثناها بكل يسر وسهولة، وبدون هـذه المشـقات، والمتاعب، والمصاعب، والكلامِ الطويل العريض الذي لا ينتهـي أبداً!! نستحلها بنصر الله عزّ وجلّ، وبكتابة الله لنا ذلك. وما أيسره على الله.

ونحن نعلم أن المسلمين ما ملكوا فلسطين في عهـد الإسـلام الزاهر إلا بإسلامهم؛ ولا استولوا على المدائن عاصمة الفرس، ولا على عاصمة الروم، ولا على عاصمة القبط إلا بالإسلام؛ ولـذلك ليت شبابنا يعون وعياً صحيحاً بأنه لا يمكن الانتصار المطلق إلا بالإسلام الحقيقي . لا إسلام الهوية بالبطاقة الشخصية!.

وأقول والعلم عند الله: لا يمكن أن تسترد الشام – وأخص بذلك فلسطين– إلا بما استردت به في صدر هذه الأمة، بقيـادة كقيـادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجال كجنود عمر بن الخطـاب رضي الله عنه لا يقاتلون إلا لتكون كلمة الله هي العليا. فإذا حصل هذا للمسلمين فإنهم سيقاتلون اليهود حتى يختبئ اليهـودي خلـف الشجرة فتنادي الشجرة:يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله. أما ما دام الناس ينظرون إلى هذه العداوة بيننا وبين اليهود

على أنها عصبية قومية فلن نفلح أبداً؛ لأن الله لن ينصر إلا من ينصره، كما قال تعالى:{ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (١) .

فنحن إذا رأينا صدر هذه الأمة، نجد أنها انتصرت على أساس التوحيد .. الإخلاص لله .. الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. البعد عن سفاسف الأمور .. عن الأخلاق الرديئة .. عن الفحشاء والمنكر .. عن تقليد الأعداء.

والمشكل أن من الناس اليوم من يرى أن تقليد الكفار عز وشرف، ويرون أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه تأخر وتقهقر، طبق ما قال الأولون:{ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ} (٢).

فعلينا – أيها الإخوة – أن نرجع؛ لنقرأ ونتأمل فيما سبق في صدر هذه الأمة، حتى نأخذ بما كانوا عليه من تمسك وعبودية

---

(١) سورة الحج _ الآيتان ٤٠ ، ٤١.

(٢) سورة المطففين _ الآية ٣٢.

وحينئذ يكتب لنا النصر.

وإني أقول وأكرر: يجب علينا أن نحذر من شرور أنفسنا، وأن نحذر من شرور الكفار والمنافقين وأتباعهم، ونسأل الله تعالى أن يكتب لنا ولكم النصر لدينه، وأن ينصرنا به وينصره بنا، وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. (١).

(١) كتب ورسائل للعثيمين.

منهج الإصلاح

عند الشيخ إلياس (رحمه الله)

إن منهج الشيخ إلياس (رحمه الله) يهدف إلى إصلاح الكل، وليس إصلاح الجزء، فإذا انصلح الكل انصلح الجزء، فقد قيل للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ابن الشيخ محمد إلياس: إن عملكم هذا لإصلاح الجزء وليس لإصلاح الكل، فالذين لا يصلون يُصلون، والذين لا يحجون بيت الله يحجون، والذين لا يذكرون الله يذكرونه ، يعني ذلك بعد الجهد عليهم، ولكن مسائل السياسة والاقتصاد، والضعف الذي في حياة المسلمين(معالجة ذلك هو إصلاح الكل).

وقبل أن نبين رد الشيخ محمد يوسف على الرجل نوضح أمرا: أن الشيخ محمد يوسف في العام الذي توفي فيه كان يتكلم كثيرا عن الصلاة ويبين أهميتها، وبين أن الأمة كلها تستطيع أن تقضي حوائجها وتحل كل مشاكلها بالصلاة، لأن بالصلاة تتعلق بالله الذي

بيده قضاء كل الحوائج وحل كل المسائل والمشاكل.. فبالصلاة يحل كل المسائل الانفرادية والاجتماعية.

فقام رجل وقال: يا شيخ أنت تقول بأن الصلاة تحل كل المشاكل وتقضي كل الحوائج، فكيف الخبز يحل بالصلاة؟ أنت إذا تترك الصلاة وتعمل في الدكان تتحصل على المال وبالمال تتحصل على الخبز. فقال الشيخ له : أنت تصلى؟ قال الرجل: نعم. فقال الشيخ يوسف له: لماذا تُصلي ؟ . قال الرجل: لأتحصل على الجنة. فقال الشيخ يوسف: إذا لم يكن يقينك أنك تتحصل بالصلاة على طعامك، والله بين في كتابه: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } (١).

فكيف بهذه الصلاة تتحصل على الجنة ؟، فإذا كانت صلاتك مقبولة فالله تعالى يرزقك الجنة، وبهذه الصلاة تستطيع أن تطلب من الله كل شيء.

---

(١) سورة الذاريات _ الآيات من ٥٦ : ٥٨.

الشرطي يقف في الميدان وفقط يشير بيده، فإذا نقول له: من أين تأكل بهذه الإشارة ؟، اذهب إلى مكان آخر للتحصل فيه على الطعام، فيقول أنا موظف عند الحكومة ، والحكومة تُعطيني المال، وبالمال أتحصل على الطعام والشراب والملبس والمسكن.

فالصحابة رضي الله عنهم كانت معاشرتهم وسياستهم أنهم يدفنون البنات وهم أحياء، قال تعالى مبينا ذلك: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ } (١).

فلما جاءهم الله بالإسلام واتبعوا النبي وآمنوا به جاءت عليهم في سبيل دعوتهم الفاقة والحاجة ، وبسبب تحملهم وصبرهم واجتهادهم في تحقيق مقصد حياتهم الله سبحانه وتعالى جعلهم أئمة في السياسة.

الذين كانت في بيوتهم الفاقة، جاءت في بيوتهم كنوز كسرى وقيصر، لماذا؟

---

(١) سورة النحل _ الآيتان ٥٨ ، ٥٩.

لأنهم أدوا الحق الذي عليهم، وما نظروا للملك والمـــال، والله حسب وعده نصرهم على عدوه وعدوهم، وأعطاهم من خزائنه ، وملكهم ملك كسرى وقيصر.

فالله تعالى قادر كما كان قادرا في عهد الصحابة:قال تعالى:{ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (١)، وقال تعالى:{ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } (٢)، وقال تعـــالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ } (٣).

فلا نظن أن الله لا يقضي حوائجنا الدنيوية بهذا العمـــل، بـــل نجتهد ونتيقن أن الله يقضي حوائجنا الدنيويـــة والأخرويـــة بهـــذا العمل(٤).

---

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٦٢.

(٢) سورة فاطر _ الآية ٤٣ .

(٣) سورة محمد _ الآية ٧.

(٤) سمعت هذا الكلام من الشيخ شفيق أحمد (من مشايخ الدعوة بباكستان) في مركز الدعوة برايوند، أثناء إلقاءه هدايات الخروج فـــي ســـبيل الله(آداب وأصول عمل الدعوة).

وقد تكلم في منهج الشيخ إلياس كثير من علماء القارة الهندية، وممن أكثر الكلام في هذا الموضوع الشيخ منظور أحمد النعماني (تلميذ الشيخ إلياس رحمه الله) وملخص كلامه: إن هذه الحركة الوحيدة التي تُرغب الناس إلى الإيمان الخالص والتمسك بكل ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) دون أي انتماء إلى المذاهب الفقهية الخاصة أو غيرها، دون أي اختلاف أو مناظرة، في المسائل الفرعية والتدخل في سياسة البلاد، بل إنها تدعو إلى الانقلاب في سياسة القلب والجوارح.

ويقول الشيخ: وحيد الدين خان(المفكر الاسلامي الهندي): في كتابه(مولانا الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى): إن هذا النظام الساري في مركز الشيخ محمد إلياس _ مركز الدعوة بنظام الدين بالهند – أكثر من نصف قرن مضى لهو دليل واضح على قيام الشيخ بإحياء كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعله لا يوجد مثاله في العالم الإسلامي أجمع ، حيث توجد في العالم مراكز كثيرة لا تعد ولا تحصى فى هذا المجال، ولكن لا توجد بينها مركزا يقدم النموذج الكامل لدور المسجد النبوي الشريف في

عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ليس هذا الأمر وحده يكفى للفت النظر إلى توفيق الله له فيما بذل من مجهود.

ولاشك أن منهج الشيخ محمد إلياس أثبت فاعليته القوية في التأثير على الناس وتربيتهم الروحية الخالصة المؤدية إلى التمسك بالكتاب والسنة والتضحية في سبيل الدين كما يؤدى إلى المحاربة ضد الجهالة والبدع المتفشية فى الأمة ويقوى مجابهة أهواء النفس .

ولست مغاليا في القول بأن مئات الألوف من الناس الذين عاشوا عيشة فاسدة أصبحوا زهادا، والذين كانوا يسخرون بالدين وأهله أصبحوا متمسكين به محبين له والذين خرجوا – مع الجماعة – مُحلقين لحاهم فقد رجعوا ووجوههم مزينة بسنة محمد صلى الله عليه وسلم والذين خرجوا بالزي الإفرنجي رجعوا وهم متمسكون بزي إسلامي .

والذين كانوا لا يقربون الصلاة ولا يؤدون الزكاة وكانوا يقضون حياتهم في المحرمات، صعب التعرف عليهم لدى عودتهم بعد قضاة فترة مع الجماعة، تجدهم صائمين النهار وقائمين الليل .

وقال: من الأمور الهامة التي تحير العقول هو أن زعامة هذه الحركة وقيادتها قد انتقلت إلى ثلاثة شخصيات وزادت مدة إنشائها عن ثلاثين عاما ورغم هذا التغير فقد امتدت رقعتها وازدادت أنشطتها يوما بعد يوم ، وهذه ميزة لم ينلها أي حزب أو جمعية دينية أو سياسية في الفترة الأخيرة .

ويدلنا معظم تاريخ الجماعات والأحزاب على أنها نالت إقبالا شديدا أو نجحت في كسب متبعيها من العامة والخاصة في بداية أمرها، ولكن بمرور الزمن قلّ نشاطها وإن كانت تلك الحركات والأحزاب قد نهضت في مرحلها الثانية بعد فقد زعيمها، ولكنها فقدت روح النشاط المطلوب بفقد قيادتها الأولى أو بمرور الزمن أو لأى أسباب أخرى ، فلم تجد هناك فرصة لاكتساب أذهان جديدة تقوم بنفس المشاعر والمبادئ والأهداف بنفس الكم والكيف .

فجماعة الدعوة والتبليغ هي الجماعة الوحيدة التي يزداد عدد المشاركين فيها كل يوم كما أنها حتى اليوم تلقى أهمية ندائها واستجابة دعائها لدى الناس.

كما يزداد فيها كذلك عدد الطالبين المشتاقين للوصول إلى الهدف المنشود المضمون باذلين فى سبيل ذلك كل غال ونفيس .

فالسبب الوحيد في تقبلها الشديد المستمر يرجع إلى أنها لم تؤسس لتغطية الاحتياجات الزمنية المحددة مثل معظم الأحزاب الأخرى، بل إنها تنطوي على برامج لإكمال الاحتياجات الفطرية الأبدية، والتي لم ولن تتقيد بالزمان والمكان بل وضعها الخالق من الأزل للأبد .

وهذه المقتضيات الفطرية هي موضوع هذه الحركة فلا علاقة لها إلا بالحقائق الدينية الأزلية الأبدية.

وبناء على ذلك لم ولن تؤثر عليها المؤثرات الزمنية الطارئة ولا العوامل الخارجية غير الثابتة في كيانها .

فإن من مقتضيات تلك الحقائق هو استمرار تلك الحركة مادامت الفطرة موجودة، والإنسان يتنفس على وجه الأرض حسب فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، فلن تؤثر عليها المؤثرات الزمانية أو المكانية الطارئة ولا تغير مجراها خصومة الأعداء .

ويقول العلامة وحيد الدين خان فى خاتمة كتابه : إنني أقترح على العالم الإسلامي أن يقرر هذا المنهج التربوي مع مناهج العلوم الحديثة على الطلاب المسلمين حتى لا يغتربوا عن الدين بل ينشأ جيل جديد يستفيد بجميع العلوم الحديثة إلى جانب الثقافة الإسلامية علما وعملا ، وإن نجحنا في ذلك فلا يستبعد أن يكون كل طالب مُبلغا للإسلام فى جميع بلدان العالم كما كان كل تاجر مُبلغا لدين الله في الصدر الأول من الإسلام .

وجماعة الدعوة والتبليغ لم ولن تصدر التقارير عن أنشطتها واجتماعاتها وإنجازاتها وخدماتها على مستوى المحلى والعالمي، مع أنها تحمل أحداثا ووقائع ثابتة إن نشر بعضها فستفوق جميع مقاييس الجماعات والأحزاب في العالم عامة وفى شبه القارة خاصة .

وجماعة الدعوة والتبليغ لا تملك وسائل الإعلام ولا الجرائد ولا الصحف أو غيرها من منفذ الشهرة حتى أن الهاتف لم يوجد لديهم في مركز الدعوة، بل وإنها تعتمد على القلوب المؤمنة المتحركة بذكر الله، وإنها لن تنشر تعاليمها وإن نشرت الإذاعة

والتلفزيون أخبارها في البلاد فسيرجونهم بعدم إذاعة ونشر الأخبار عن أعمالهم .

ومع كل هذا أو ذاك فنشاطها يزداد كل يوم، فما هو الباعث الأساسي في هذا الأمر غير العادي ؟

وما هي الأسباب الرئيسية لهذه الاستجابة ؟

وماهي العوامل التي تزيد أجيج وقودها كل حين ؟

نعم.. إنها قوة الإيمان وقوة العقيدة التي تدفع صاحبها إلى القيام بإبلاغها للآخرين، وهو يُبلغ إيمانه ومشاعره الصادقة إلى الآخرين لأن وجدانه يحثه على ذلك، فيشعر تجاهها بمسئوليته الذاتية الخاصة لأنه يقوم بعمله لا بعمل غيره، ولذا لم يدخر جهده بل يبذل كل ما في وسعه لنيل المنشود، فيضحى له بكل غال ونفيس.

بحمد الله

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

بريد الكتروني
Emam٢٠٣٠@gmail.com
تليفون محمول: ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦